قصة قصيرة

العصيان

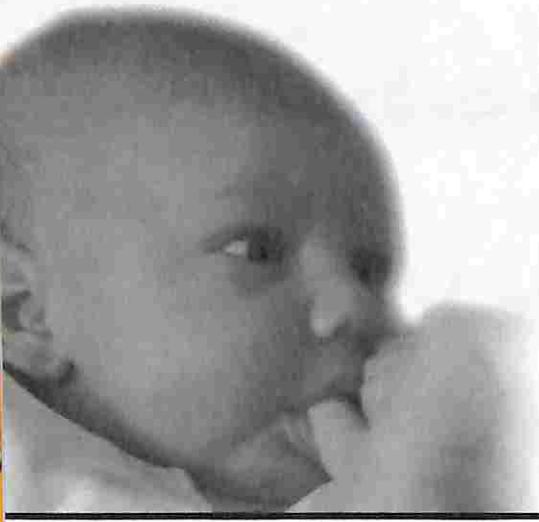

بقلم : فوزية حجي
المغرب

نأى الرضيع بفمه عن ثدي أمه المثقل بالحليب وأمسكها من ذقنها في توتر طارئ قائلاً:

الرضيع: ماما كم أتمنى العودة إلى رحمك الدافئ لأسبح مطمئناً في تلك اللزوجة الآمنة.

الأم مندهشة: ولماذا يا صغيري؟

الرضيع: هذه الدنيا تبدو لي أظلم من الغشاء الذي كان يحتويني، وإن كان هو آمناً كما قلت وهي موحشة، وأكثر ضحيجاً بل عدوانية..

الأم: لم أفهم - قالت الأم وهي في قمة الانصعاق أمام هذا الفم الذي ينفتح بكل سلاسة، وهذه الكلمات الكبيرة التي تنقذف منه منضودة.

الرضيع: سمعتك البارحة تحدثين صديقتك عن وجوب الحذر من النساء اللواتي يدخلن عليك بالتمائم السحرية التي قد تقتلني كما أكدت ذلك جدتي، وشغلتم التلفاز فرأيت ذلك البرنامج الرهيب حول تعذيب الصغار والذي ذكرني بالبرنامج الآخر حول بقاء الصغار، والآخر حول تشرد الصغار، والآخر حول تسخير الصغار، والآخر حول جرائم الصغار، والآخر حول ذبح وحصار الصغار بفلسطين والعراق والشيشان وأفغانستان و... و... و.. فكيف تريدين مني أن أعبر نهر الطفولة هذا الآمن المضطرب وأصير إلى ما صار إليه أقراني، قتيلاً أو ذبيحاً أو شريداً!!

الأم غاضبة مستفزة: ارضع ودعك من هذه الشؤون المعقدة، ستكبر بما يكفي لتملأ رأسك بهذه القصص غير المسلية!.. بقيت أمامك رضعة واحدة تنام بعدها كالمعتاد في الساعة السابعة مساء بالتمام.

الرضيع: ولماذا في السابعة، ولماذا كلمة «تماماً» هذه التي لا أحبها!! وهل هذا أمر؟؟

الأم: نعم، لتنمو وتكون قوياً وجميلاً كرامبو وشوازينيغير..

الرضيع غاضباً: أنا أرفض الرضوخ لبرنامجك هذا العسكري، ولا أريد الآن أن أكون عبداً في مملكتك كأبي!

الأم ثائرة: ولد، ما هذا الأسلوب الجديد الذي تخاطبني به، أتعصيني؟!

الرضيع لا مبالياً: نعم أعصيك، ألم أولد في زمن حقوق الطفل، أليست كل الدول العظمى طوع بناني، ويكفيني أن أصرخ مطالباً بحقوقي وبنجدتها لي في محنتي لتتلقف صرختي وتخترق الحدود والسلطة والسلطان لترفعني إلى مصاف القضايا المصيرية، وتدعو باسمي إلى الإحلال العاجل للديمقراطية وحقوق الطفل بلا قيد ولا شرط!!

وبقليل من التفكير أجزم أني لن أعود إلى بطنك، فلا دفء فيه ولا راحة.. فقط مغارات من دخان السجائر التي لا تشبعُن من عبّها أنت وصديقاتك المتحمسات للمساواة في تلويث سكينتنا العابرة..

الأم هائجة: ولد يكفي!

الرضيع: نعم يكفي، سأسوح في الأرض، وسأبحث لنفسي عن مكان لا سجائر فيه، ولا مساواة بلهاء، ولا قتل ولا اغتصاب، ولا وصايا ببغائية من الأسياد عن أحسن وأحدث وسائل الرضاعة والنوم والأكل والنسل!!

وفي تلك اللحظة انتفض الرضيع، ووضع قدميه الهشتين على الأرض ثم اتجه بثقة نحو الباب. ■